والاحترام : اعتبار الشيء ذا حرم كناية عن عدم الدخول فيه, أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر ا في شأنه والحرمات يشمل كل ما أوصى ا بتعظيم أمره فتشمل مناسك الحج كلها .

وعن زيد بن أسلم : الحرمات خمس : المسجد الحرام والبيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ما دام محرما . فقصره على الذوات دون الأعمال . والذي يظهر أن الحرمات يشمل الهدايا والقلائد والمشعر الحرام وغير ذلك من أعمال الحج . كالغسل في مواقعه والحلق ومواقيته ومناسكه .

[30] (وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء غير مشركين به) لما ذكر آنفا بهيمة الأنعام وتعظيم حرمات ا أعقب ذلك بإبطال ما حرمه المشركون على أنفسهم من الأنعام مثل : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وبعض ما في بطونها . وقد ذكر في سورة الأنعام .

واستثنى منه ما يتلى تحريمه في القرآن وهو ما جاء ذكره في سورة الأنعام في قوله (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما) الآيات وما ذكر في سورة النحل وكلتاهما مكيتان سابقتان .

وجيء بالمضارع في قوله (إلا ما يتلى عليكم) ليشمل ما نزل من القرآن في ذلك مما سبق نزول سورة الحج بأنه تلي فيما مضى ولم يزل بتلى ويشمل ما عسى أن ينزل من بعد مثل قوله (ما جعل ا من بحيرة ولا سائبة) الآية في سورة العقود .

والأمر باجتناب الأوثان مستعمل في طلب الدوام كما في قوله (يا أيها الذين آمنوا با ورسوله) . وفرع على ذلك جملة معترضة للتصريح بالأمر باجتناب ما ليس من حرمات ا وهو الأوثان .

واجتناب الكذب على ا بقولهم لبعض المحرمات (هذا حلال) مثل الدم وما أهل لغير ا به وقولهم لبعض (هذا حرام) مثل : البحيرة والسائبة قال تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على ا الكذب) .

والرجس : حقيقته الخبث والقذارة . وتقدم في قوله تعالى (فإنه رجس) في سورة الأنعام . ووصف الأوثان بالرجس أنها رجس معنوي لكون اعتقاد إلهيتها في النفوس بمنزلة تعلق الخبث بالأجساد فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ .

و (من) في قوله (من الأوثان) بيان لمجمل الرجس فهي تدخل على بعض أسماء التمييز بيانا للمراد من الرجس هنا لا أن معنى ذلك أن الرجس هو عين الأوثان بل الرجس أعم أريد به هنا بعض أنواعه فهذا تحقيق معنى (من) البيانية .

و (حنفاء) حال من ضمير (اجتنبوا) أي تكونوا إن اجتنبتم ذلك حنفاء جمع حنيف وهو المخلص في العبادة أي تكونوا على ملة إبراهيم حقا . ولذلك زاد معنى (حنفاء) بيانا بقوله (غير مشركين به) وهذا كقوله (إن إبراهيم كان أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين) .

. غيره معه مشركين غير أي والمعية للمصاحبة (به مشركين) قوله في والباء A E

(ومن يشرك با فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق [31]) أعقب نهيهم عن الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك با في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسه من النجاة ما دام مشركا تمثيلا بديعا إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات .

قال في الكشاف : " يجوز أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق بأن صور حال المشرك بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك با بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة . والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة " اه .

يعني أن المشرك لما عدل عن الإيمان الفطري وكان في مكنته فكأنه كان في السماء فسقط منها فتوزعته أنواع المهالك . ولا يخفى عليك أن في مطاوي هذا التمثيل تشبيهات كثيرة لا يعوزك استخراجها .

والسحيق : البعيد فلا نجاة لمن حل فيه